قالت العرب
وأنت تعود الي البيت، بيتك، فكر بغيرك...
(لا تنس شعب الخيام)
وأنت تنام وتحصي الكواكب، فكر بغيرك...
(ثمة من لم يجد حيزا للمنام)
وأنت تفكر بالآخرين البعيدين، فكر بنفسك...
(قل: ليتني شمعة في الظلام) "محمود درويش"

المشهد
العدد 351 السنة الرابعة عشرة - الجمعة 1 مايو 2026 م - 14 ذو القعدة 1447 هـ

علي عطا: انبهرت بالواقعية السحرية المتكئة على ثقافة متجذرة في الرواية الصينية

غياب دراسات الترجمة عربيًا أحد أسباب ضعف تقييم الأدب الصينى رغم ازدهار ترجمته فى السنوات الأخيرة

بدأ اهتمامى بالأدب الصينى بعد قراءة ترجمة الذرة الرفيعة الحمراء عقب فوز مويان بجائزة نوبل

بدأ الكاتب على عطا مسيرته الأدبية شاعرًا عام ٢٠٠١، حين أصدر مجموعته الأولى «على سبيل التمويه» ضمن سلسلة «كتابات جديدة» الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب. ثم واصل تجربته الشعرية بديوانه الثانى «ظهرها للحائط» عام ٢٠٠٧ عن دار شرقيات، قبل أن يصدر ديوانه الثالث «تمارين لاصطياد فريسة» عام ٢٠١٣، ليؤكد حضوره داخل المشهد الشعرى المصري.

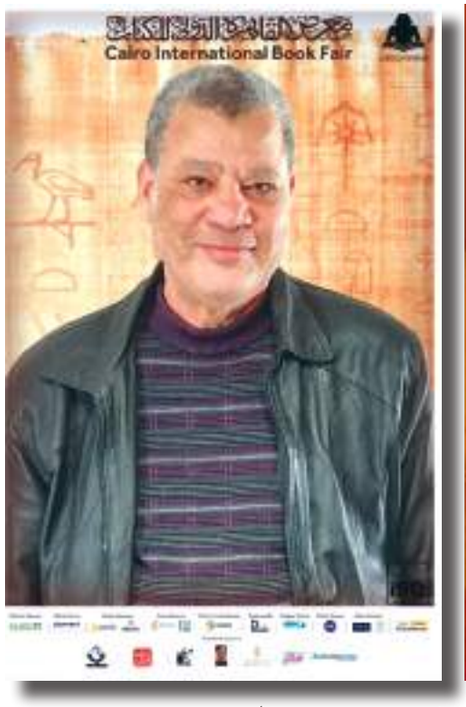

فى عام ٢٠١٧، انتقل عطا إلى عالم الرواية عبر عمله «حافة الكوثر» الصادر عن الدار المصرية اللبنانية، وهو التحول الذى تعزز بروايته «زيارة أخيرة لأم كلثوم» عام ٢٠٢٠، حيث واصل اشتغاله على السرد وتوسيع أدواته التعبيرية.

ومع عام ٢٠٢٣، اتجه إلى الكتابة النقدية والمقالية عبر كتاب «وجوه وكتب وقضايا» الصادر عن بيت الحكمة، والذى جمع فيه مقالاته المنشورة فى صحف ومجلات مختلفة، تلاه كتاب «ظلال السرد» عام ٢٠٢٤ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، متضمنًا قراءات نقدية فى الرواية العربية والأجنبية.

الطفرة فى الترجمة مرتبطة بانفتاح الصين ثقافيًا واقتصاديًا على العالم

الكتاب المصنفون باعتبارهم معارضين يتجنب الصينيون الرسميون دعم ترجمة أعمالهم

الترجمة لا تدر ربحًا ماديًا غالبًا.. لكنها تغنى المكتبة العربية وتفتح أفقًا للتبادل الثقافي

الرواية هى المسيطرة والشعر الصينى لا يزال بعيدًا عن القارئ العربى رغم تاريخه الطويل

تلقى الأدب الصينى عربيًا لا يزال نخبويًا لكنه قابل للاتساع

أعمل على كتاب عن الأدب الأفريقى باللغة العربية فى سياق غير تقليدي

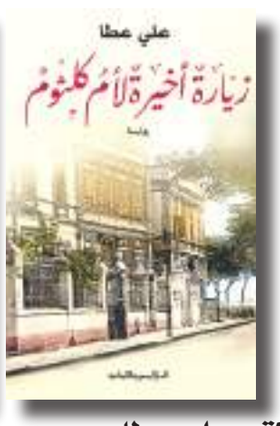

آهم كتب علي عطا

وفى أحدث إصداراته قدّم كتابه «الأدب الصينى بالعربية: الترجمة والتلقى والانتشار» عن بيت الحكمة، وهو عمل بحثى يفتح أفقًا جديدًا فى دراسات الترجمة والتفاعل الثقافي. وفى هذا السياق، يأتى هذا الحوار مع على عطا للوقوف على دوافع اهتمامه بالأدب الصيني، ورؤيته لمسارات ترجمته إلى العربية، وأبرز النتائج التى خلص إليها، إلى جانب استكشاف صورة الصين فى الوعى العربى من خلال النصوص المترجمة، وكذلك التعرف على مشاريعه الكتابية المقبلة.

● فى البداية، كيف تشكّل اهتمامك بالأدب الصيني؟

- بدأ اهتمامى بالأدب الصينى عقب فوز مويان بجائزة نوبل عام ٢٠١٢، والذى أعقبه مباشرة صدور ترجمة روايته "الذرة الرفيعة الحمراء" عن المركز القومى للترجمة بتوقيع الدكتور حسانين فهمى حسين الذى ترجمها إلى العربية من الصينية مباشرة. قرأت تلك الترجمة بمجرد صدورها، وانبهرت بعالمها الزاخر بواقعية سحرية عبر أجواء تعكس بيئة موغلة فى المحلية وفى الاتكاء على ثقافة متجذرة فى مجتمعها منذ آلاف السنين. وتواصلت مع المترجم الذى خص جريدة "الحياة" فى ذلك الوقت بحوار أجراه مع مويان بث التلفزيون السعودى جزءا كبيرا منه. ومن وقتها لم يتوقف انجذابى إلى الأعمال الأدبية الصينية المعاصرة مترجمة إلى اللغة العربية، وكان لمجموعة "بيت الحكمة" دائما نصيب الأسد منها، مع وجود دور نشر أخرى فى مصر وضعت نشر الأدب الصينى مترجما إلى العربية مثل المركز القومى للترجمة ودار "العربي" والهيئة المصرية العامة للكتاب والهيئة العامة لقصور الثقافة. ويمكننى القول إن فوز الأديب الصينى مويان بجائزة نوبل عام ٢٠١٢ الذى تبعه نشاط ملحوظ فى ترجمة الأدب الصيني، إلى لغات شتى، منها اللغة العربية، ليس السبب الوحيد فى هذه الطفرة، فالعامل الأهم فى تصورى هو انفتاح الصين على العالم، اقتصاديًا وتقنيًا، على نحو غير مسبوق منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية، عام ١٩٤٩، وخصوصًا فى البعد الثقافى المتنوع بتنوع قوميات هذا البلد التى يصل عددها إلى ٥٦ قومية، تشكل سُدس سكان العالم وتعكس اندماج الثقافات المتنوعة فى حضارة واحدة.

● ما الذى دفعك لتخصيص كتاب كامل لدراسة حضور الأدب الصينى فى الثقافة العربية؟

- ندرة "دراسات الترجمة"، باللغة العربية، عموماً وانعدامها بالنسبة للأدب الصينى على وجه الخصوص، تقريباً. ولهذا اخترت أن يركز كتابى على حركة ترجمة الأدب الصينى إلى اللغة العربية، وما تواجهه من تحديات، وما تعكسه من علامات على طريق التقارب الصينى العربى المتنامى فى الوقت الراهن، ومن ثم فإنه على الرغم من تسليطه الضوء على بعض الأعمال الأدبية والفكرية المترجمة من الصينية إلى العربية حديثًا؛ فإن منهجه وهدفه، يختلفان عن منهج وهدف كتب سابقة، مثل كتاب "قراءة سعودية فى الرواية الصينية المعاصرة" الصادر عن مركز البحوث والتواصل المعرفى بالمملكة العربية السعودية، ويضم عددًا من المقالات حول أعمال روائية صينية معاصرة. وأيضًا كتاب منير عتيبة: "قراءات نقدية فى الأدب الصيني" الصادر عام ٢٠٢١ عن "بيت الحكمة" فى القاهرة، الذى يشبه الكتاب السابق فى تناوله النقدى أو القرائى لعدد من الأعمال الأدبية الصينية المترجمة حديثًا إلى اللغة العربية.

● هل يمكن القول إن هناك "لحظة مفصلية" جعلتك تشعر بضرورة إنجاز هذا المشروع؟

- نعم، هى اللحظة - إذا جاز التعبير - التى عرضتُ فيها فكرة الكتاب - على استحياء - على الرئيس التنفيذى لمجموعة بيت الحكمة الدكتور أحمد سعيد، ولاقت قبوله. فبدون ذلك القبول ربما كان حماسى للفكرة سينطفئ. فللأسف بات من الصعب أن يجد كاتب مثلى ناشرًا يتحمس لنشر كتاب بحثى بما أننى لست باحثًا أكاديميًا، كما أن الموضوع نفسه يناسب "بيت الحكمة" أكثر من غيرها من دور النشر الأخرى؛ حكومية كانت أو خاصة. فالموضوع ليس عملاً روائيا لى أو عملا أدبيا قمت أنا بترجمته، مع العلم أننى أصلا لا أعرف أى مفردة من مفردات اللغة الصينية! وللأمانة كانت تلك اللحظة دافعًا لى للبحث والتنقيب فى مختلف زوايا موضوع الكتاب فى عدد كبير من المصادر، كما أننى استفدت من مقالات سبق أن كتبتها عن روايات صينية مترجمة إلى اللغة العربية. وهذا يعنى بلا مواربة أنى قبل تلك اللحظة لم أكن أعرف الكثير فى موضوع ترجمة الأدب الصينى إلى العربية، لكن فقط كنت أستشعر أهميته وضرورة أن يوفى حقه من البحث والدراسة. وهكذا اهتديت إلى أنه يكفينى أن أنبه عبر هذا الكتاب، ما أمكن، إلى أهمية أن تنتعش دراسات الترجمة على المستوى العربي، وخصوصًا إزاء وافد جديد قديم، هو الأدب الصيني؛ فهو قديم بحكم أن بدايات ترجمة الحديث منه إلى العربية، تعود إلى بضعة عقود، سبقت الطفرة التى نشهدها حاليًا والتى زاد زخمها بعد فوز مويان بجائزة نوبل فى الآداب عام ٢٠١٢، إلى الحد الذى يجعلنا وكأننا بصدد وافد جديد فعلا، من حيث سماته التى تميزه إلى حدّ بعيد عن كلاسيكيات ذلك الأدب الشهيرة وتتصل به على نحو ما فى الوقت نفسه. نحتاج إلى تشجيع نقد الترجمات العربية المتلاحقة للأدب الصيني، فى سياق دراسات الأدب المقارن، وغيره من السياقات المتصلة بعلوم اللسانيات، وتحديدًا فى ما يتعلق بالمشترك وغير المشترك فى اللغتين العربية والصينية، عبر تأمل منهجى عميق للنص الأصلى وترجمته، أو ربما ترجماته بما إن هناك حالات لترجمة نص معين أكثر من مرة.

● ما سمات الأدب الصينى التى لمستها؟

- بحلول القرن العشرين ظهر أثر الأدب الغربى فى أعمال كثير من الكتاب الصينيين، وإن ظلت لها سماتها التى تميزها عن غيرها من الآداب العالمية، وفى مقدمتها سمة الواقعية السحرية، ولكن على الطريقة الصينية، المتكئة على تراث زاخر بالأساطير والفلسفات ممتدة الأثر، فى سياق حضارى متصل منذ خمسة آلاف عام. ومن سماته أيضا البحث عن الجذور وهو تيار اتضحت معالمه منذ ثمانينيات القرن الماضي، فى كثير من الروايات ومنها أكثر من رواية لمويان الذى يعتبر من أبرز ممثلى ذلك التيار. ومن الأعمال التى ظهرت مترجمة إلى العربية ويظهر فيها نزوع إلى معالجة حقبة المجاعة الكبرى، وسنوات الثورة الثقافية من باب النقد السياسي، كسمة مميزة للأدب الصينى المعاصر، رواية "الزمن المفقود" للكاتب وانغ شياوبو. وهى فى تكنيكها ذكرتنى برواية "الشعلة الخفيّة للملكة لوانا"، وفيها يبحر الكاتب الإيطالى الراحل أمبرتو إيكو، عميقًا، عبر بطلها "جيان باتستا بودوني"؛ الملقّب بـ"يامبو"، والمهدّد بالعيش بقية عمره وسط ضباب كثيف على إثر فقدانه الذاكرة جزئيًا بعد أن بلغ الستين من عمره، فى معنى التذكر وآلياته وارتباطه بالزمن والوجود الفردى والجمعي، وفرز الزائف من الحقيقى فى المرويات التاريخية الرسمية. ولا ينكر دارسو الأدب الصينى الحديث وكتابه أيضاً أثر انفتاحهم على أدب الغرب وأدب أمريكا اللاتينية مع المحافظة فى الوقت نفسه على السمات المتوارثة الخاصة بالثقافة الصينية.

● كيف صغت الإطار المنهجى لكتاب الأدب الصينى بالعربية؟ وما أبرز الأسئلة التى انطلقت منها؟

- الإطار المنهجى لهذا الكتاب قام أساسًا على قراءة عدد كبير من الأعمال الأدبية الصينية المعاصرة المترجمة إلى العربية واستخلاص سماتها وتلمس تحديات ترجمتها من لغتها الأصلية مباشرة بفضل مترجمين درسوا اللغة الصينية وتعمقوا فى فهم الثقافة الصينية، خصوصا فى كلية الألسن بجامعة عين شمس وكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر. أما أبرز الأسئلة التى توقفت عندها ونبهت إلى أهمية تبنيها فى دراسات لاحقة هو سؤال تقييم الترجمات العربية للأدب الصينى المعاصر وهو مجال نشط، لكنه بحاجة إلى مزيد من التقييم والنقد المتخصص، مع الأخذ فى الاعتبار تحديات الترجمة الأدبية فى نقل الثقافة الأصلية والجمالية الأدبية. وكذلك السؤال عن موقع الأدب الصينى على المستوى العالمى ومدى انتشاره وكيفية تلقيه، وتبيّن لى أنه هذا الأدب بات يشكل عالمًا ثقافيًا غنيًا ومعقدًا؛ ما يجعل نقله إلى اللغة العربية تحديًا كبيرًا يتطلب فهمًا عميقًا للثقافة الأصلية والقدرة على تكييفها لتناسب الذوق العربي.

● ما أهم النتائج التى توصلت إليها فيما يتعلق بحركة ترجمة الأدب الصينى إلى العربية؟

- لاحظت أن الاهتمام بترجمة الروايات الصينية يفوق ما تحظى به الأجناس الأدبية الصينية الأخرى، بما فيها الشعر الذى ظل لقرون عديدة هو "ديوان الصين"، مثلما كان الشعر العربى هو ديوان العرب، إلى أن تسيّدت مقولة "زمن الرواية"، المرتبطة بالناقد الراحل الدكتور جابر عصفور، بصفة خاصة. وكما جاء على لسان المترجمة يارا المصرى فى مقال نشرته مجلة "الثورة" التونسية فى ٢٩ من نوفمبر ٢٠٢٢، فإن الشعر الصينى المعاصر لا يزال بعيدًا عن القارئ العربي، وخاصة شعر فترة الثمانينيات وما بعدها، لم نعرف منه سوى القليل غير الكافى لمواكبة حركة وتطور هذا الأدب البعيد عنا فى الشرق، ومن جهة أخرى غير كاف لمواكبة حركة الترجمة عنه فى العالمً بأكمله.

● ما الذى يُترجم من الأدب الصيني، ومن الذى يختار؟ وهل نحن أمام "صورة مُنتقاة" للصين أكثر منها صورة حقيقية؟

- تأتى الرواية فى المقام الأول كما ذكرت قبل قليل. الذى يختار عادة هو الناشر وقد يكون ذلك فى بعض الحالات بالاتفاق مع مؤسسات صينية معنية بانتشار الأدب الصينى الجديد فى المنطقة العربية، وفى العالم، فى سياق الانفتاح الذى يضمن نقل صورة حقيقية أكثر منها صورة منتقاة كما كان يحدث مثلا فى زمن ماوتسى تونج والثورة الثقافية والانكفاء على الذات فى ظل توجس من الآخر عموما.

● هل تعتقد أن هناك انحيازًا نحو نصوص بعينها (سياسيًا/جماليًا) على حساب أخرى؟ وما أثر ذلك فى تشكيل وعى القارئ العربى بالصين؟

- هذا الانحياز هو أمر طبيعى من جانب الصينيين أنفسهم. فالكتاب المصنفون باعتبارهم معارضين على نحو واضح وصريح يتجنب الصينيون الرسميون دعم ترجمة أعمالهم، سواء إلى اللغة العربية وغيرها. لكن هناك دور نشر لا تلتزم تلك السياسة، وغالبا تترجم من لغة وسيطة مثل الإنجليزية أو الفرنسية. لكن الأمر بصفة عامة ليس بدرجة السوء التى كان عليها فى زمن الانغلاق.

● إلى أى مدى تخضع حركة الترجمة لمنطق السوق مقابل منطق المعرفة؟

- إلى حد كبير بالنسبة إلى عدد لا يستهان به من دور النشر التى تستهدف الربح فى المقام الأول. لكن هناك مشاريع فى سياق حركة الترجمة تهتم فى المقام الأول بالمعرفة لأنها لا تهدف إلى الربح ولا إلى منطق السوق إلى حد بعيد، منها مثلاً مشروع "كلمة" الإماراتي، ومشروع المركز القومى للترجمة فى مصر وسلسلة الجوائز فى الهيئة المصرية العامة للكتاب، ومجموعة "بيت الحكمة"، لأن التعريف بالصين سياسة وأدبا واقتصادًا وحضارة ممتدة يعتبر الهدف الأساسى لوجودها.

● هل تغيّرت صورة الصين فى المخيال العربى عبر هذه الترجمات خلال العقدين الأخيرين؟

- لا أستطيع أن أحدد بدقة. لكن يبدو لي، أن الطفرة فى الترجمة من الصينية إلى العربية ستساعد حتمًا فى بلورة صورة الصين الحقيقية كبلد منتج للمعرفة وللأدب الرفيع فى الماضى والحاضر، وليس مجرد بلد تأتينا منه السلع رديئة الصنع أو تنتج هوليود عنه أفلاماً تجارية تظهره مجرد مجتمع تزدهر فيه الجرائم ورياضات الدفاع عن النفس ويأكل سكانه الحشرات ولحم الكلاب.

● برأيك، ما أبرز التحديات التى تواجه ترجمة الأدب الصينى إلى العربية؟

- التحديات اللغوية؛ فاللغة الصينية تختلف بشكل جذرى عن اللغة العربية، ما يجعل عملية الترجمة الأدبية تحتاج إلى مهارات عالية فى اللغتين، مع الحرص على عدم النسخ الحرفى للكلمات، وهناك تحدى الحفاظ على الجودة الأدبية: يهدف المترجم إلى الحفاظ على الروح الإبداعية والخيال الموجود فى العمل الأدبى الأصلي، بالإضافة إلى التكيف مع اللغة الهدف (العربية) بما يحافظ على جمالية النص. كما ينبغى دعم وتشجيع عملية الترجمة؛ فمعروف أنها غالبًا لا تدر ربحًا ماديًا، لكنها بالتأكيد تغنى المكتبة العربية. ومن الضروري، فى هذا السياق تطوير حركة النقد الأدبى المتخصصة لتقييم الترجمات العربية للأدب الصيني، وتقديم رؤى نقدية بناءة حول جودة الترجمات المقدمة. وينبغى أيضًا تشجيع زيادة التبادل الثقافى بين العالمين العربى والصيني، بما فى ذلك تنظيم فعاليات مشتركة ومؤتمرات لمناقشة قضايا الترجمة الأدبية بين اللغتين.

. كما ينبغى دعم وتشجيع عملية الترجمة؛ فمعروف أنها غالبًا لا تدر ربحًا ماديًا، لكنها بالتأكيد تغنى المكتبة العربية. ومن الضروري، فى هذا السياق تطوير حركة النقد الأدبى المتخصصة لتقييم الترجمات العربية للأدب الصيني، وتقديم رؤى نقدية بناءة حول جودة الترجمات المقدمة. وينبغى أيضًا تشجيع زيادة التبادل الثقافى بين العالمين العربى والصيني، بما فى ذلك تنظيم فعاليات مشتركة ومؤتمرات لمناقشة قضايا الترجمة الأدبية بين اللغتين.

● كيف تقيم استقبال القارئ العربى للأدب الصيني؟ هل هو نخبوى أم بدأ يتسع؟

هو بالطبع نخبوي. جمهور الأدب عندنا نخبوي، لكنه قابل للاتساع. فالنخبة ليست كتلة جامدة، بل هى قابلة للتمدد كلما ارتقى مستوى التعليم وكلما تغلبت حركة النشر على العوائق التى تواجهها عادة. كما أن اتساعه مضمون بفضل التكنولوجيا التى وضعت الكتاب الإلكترونى فى نطاق جماهيرى أوسع من نطاق الكتاب الورقي. وأظن أن تلقى الأدب الصينى المترجم إلى اللغة العربية فى حال طيبة بدليل ازدهاره فى السنوات الأخيرة

● هل هناك أعمال صينية معينة ترى أنها نجحت فعلاً فى الوصول إلى القارئ العربي؟

تُعَدُّ "الشيفرة" للكاتب ماى جيا، أكثر رواية صينية انتشرت فى العالم خلال القرن العشرين، فقد تُرجمت إلى ٣٣ لغة، وهى أول رواية صينية تحفظ فى المكتبة العالمية. وقد حققت ترجمتها إلى اللغة العربية نجاحا ملحوظا. وحدث الشيء نفسه مع تترجمة رواية "الذرة الرفيعة الحمراء" لمويان التى صدرت منها طبعتان، الأولى من المركز القومى للترجمة والثانية من دار صفصافة. ويُعد ليو جِن يون من أكثر الكتاب الصينيين الذين تُرجمت أعمالهم إلى اللغة العربية فى السنوات الأخيرة، ومنها "الطلاق على الطريقة الصينية"، التى تُرجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة، و"رُبّ جملة بعشرة آلاف جملة"، و"١٩٤٢"، و"قصة الطبال وعازف البيانو"، و"تاريخ آخر للضحك" و"اسمى ليو"، وكذلك رواية "المرسال" للروائى الصينى ليو ليانغ تشنغ. ورواية "الذواقة" للكاتب لو وين فو.

● هل هناك مشاريع جديدة تعمل عليها فى هذا السياق؟

أعمل على كتاب عن الأدب الأفريقى باللغة العربية، وهو موضوع جدير بالتطرق إليه بحثًا ودراسة فى سياق غير تقليدى لطالما حصر الأدب الأفريقى فى نطاق جنوب الصحراء، كما حصره فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية غالبًا، ولم يهتم بالأدب الأفريقى المكتوب باللغة العربية، مع أنه موجود وينتظر من يسلط الضوء عليه.

حاوره: عبدالكريم الحجراوي